ليبيا لدى الرحالة المغاربة

الاستاذ عبد الهادي التازي

لا يمكن المرء أن يغفل عن النصيب الهام الذي تستأثر به الرحلات المغربية من تاريخ وجغرافية ليبيا . ان هناك عشرات من الرحالة المغاربة دونوا مذكراتهم عن مقامهم بتلك الديار وهي ـ ولو انها مما لم يظهر جميعه لحد الآن ـ لكن المكتبة المغربية تتوفر على طائفة منها مهمة ، الامر الذي يقدم لنا معلومات طريفة عن طبيعة البلاد وامرائها ، وقادتها وعلمائها وفقهائها ، سواء عند ذهابهم وايابهم .

فهذا الامام ابن العربي سفير يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ ـ ١٠٩٣) م الى المستظهر بالله في بغداد « يعظم عليه البحر بزوله ويغرقه في هوله » فينتهي الى برقة حيث ينزل ضيفاً مكرماً ـ مع ابنه ـ على امير بني كعب بن سليم حيث يمضي وقتاً في التسلية يلعب الشطرنج في انتظار تصليح مركبه ... [1] .

وهذا ابنُ رشيد الذي المّ بطرابلس سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨٦ ـ ١٢٨٧ م) فردد اصداء

---

(١) تعتبر رحلة ابن العربي من اهم ما يتوق الباحثون الوقوف عليها نظراً لما يتوقعونه فيها من لطائف وطرائف . ويوجد مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٠٢٠ يظهر انه ملخص لكتاب الرحلة . وقد قرأت في رحلة ابن عبد السلام الناصري الكبرى المصورة بنفس المكتبة تحت رقم ١٦٥١ ص ١٦٠ ان حفيداً لابن عبد الصادق رأى رحلة ابن العربي بتونس . المقري : نفح الطيب : طبعة عبد الحميد ١٩٤٩ م المجلد ٢ ، ص ٢٣٧ ـ ابن غلبون : التذكار نشر الزاوي طبعة ثانية ص ٧٧ . ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن نشر عبد الهادي التازي طبعة بيروت ١٩٦٤ م ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

البلاد وقدم لنا في رحلته الفريدة صورة صادقة لما شاهده ـ على الاقل ـ في ميدان النشاط العلمي [1] .

وهذا العبدري « الدليل الازرق » لـكل الرواد الرحالة ، كان اول رحالة مسلم يصف قوس ماركوس اوريليوس الذي شيد منذ سنة ١٦٣ ب . م بطرابلس وقد قـــدم لنا تحقيقات عن جغرافية ليبيا وآثارها القديمة ، وعن حالتها العلمية عندما وصلها سنة ٦٨٩هـ (١٢٩٠ ـ ١٢٩١ م) في اعقاب حصار اسطول ملك أراغون لطرابلس ... ويذكي بما كتبه عن نشاطها العلمي اقلام الادباء والمؤرخين في المغرب وفي ليبيا [2] .

وهـــذا ابن بطوطة السفير المتنقل للسلطان أبي عنان يحكي سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٥ ـ ١٣٢٦ م) عن طرابلس ومسلاته ومصراته وقصور سرت بل وعن اعراسـه وولائمه في الجبل الاخضر [3] .

(١) رحلة ابن رشيد بعنوان « ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهـــة الوجيهة مكة وطيبة » وتوجد منها مجلدات في مكتبة الاسكوريال على مقربة من مدريد ... ويستعد لنشرها اليوم الدكتور مصطفى الخوجة بتونس .
ابن القاضي : جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس . طبعة حجرية ، ص ١٨٠ ـ ١٨٢
العباس ابن ابراهيم : تاريخ مراكش ثالث ص ٢٥٠ . محمد الفاسي : الرحالة المغاربة وآثارهم دعوة الحق عدد نوفمبر ١٩٠٨ .

(٢) توجد عدة نسخ مخطوطة من الرحلة المغربية للعبدري ، منها في المكتبة الملكية فيما اطلعت عليه نسخة رقم ١٣٥١ ونسخة رقم ٦٥٩٤ ، وقد عني بها المستشرقون وكان ممن تحدث عنها منهم شيربونو . وقد نشر بعضها الاستاذ ابن جدو (كلية الآداب الجزائرية) ، لـكنها ظهرت حـديثاً بتحقيق وتقديم معالي الاستاذ محمد الفاسي ضمن سلسلة الرحلات التي تنشرها جامعة محمد الخامس انظر منها صفحة ٨٢ .
ابن القاضي : الجذوة ص ١٧٩ .
ـ سلفاتوري اووكيا ـ البيان (١٣) للأكاديمية الملكية الايطاليـــة (قوس ماركواوريليو ...) دار الآثار بطرابلس .

CHER BONNEAU :
Notice et extraits du Voyage d'El Abdary
Journal Asiatique (Cinqieme Serie)
Tome IV; 18 45 Page 144-776

(٣) في نسخ ابن بطوطة ان ذلك تم في قصر الزعافية ونظن انه تحريف لقصر الصعافية الذي يقع في الجبل الاخضر والذي ورد ذكره في رحلة العبدري .

Voyages d'Ibn Batoutah, Tradint Par Dar Defremery et Sanguinett Tom I Page 26

وهذا خالد البلوي الذي غدر به مركبه على ساحل ليبيا ، ثم خذلته قرقورته على مرسى طبرق سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ ـ ١٣٣٨ م) يترك لنا انطباعاته عن الظروف الصعبة التي عاشها هنا وهناك [١] .

يا ليلة جمعت بمرسى طبرق أجلَى صباحُك عن نوىً وتفرق
الفت بين مفرق ومجمع وجمعت بين مغرب ومشرق

وهذا الشيخ السراج الذي فضل ان يجعل طريقه عام ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠ ـ ١٦٣١ م) على الصحراء الليبية فاخترقها من سردلس (SERDLES) وزار أوباري وقصر جرمة ، واقام بقلعة مرزق حيث اجتمع بسيد الفزان : جهيم من ذرية السلطان محمد الفاسي ثم مر بقصر تراغن حيث اجتمع بالعلامة عمر بن تامر التراغني ثم زويلة وقصر تمسة وبلاد (الفقهاء) ثم زلة التي تعتمد على شراب « اللاقبي [٢] » ثم اوجلة ... معلومات عن الفزان بما يضمه من ثروة ارضه ونبل قومه .

وهذا الامام العياشي : يسجل سنة ١٠٧٢ هـ (١٦٦١ ـ ١٦٦٢ م) ما سيظل مرجعاً لكل الذين يهمهم تاريخ هذه الديار باسلوبه الخيّر الرصين ، وملاحظاته الدقيقة الهادفة ،

---

(١) الرحلة ما تزال لم تنشر الى الآن ، وتوجد منها عدة نسخ في المكتبات العامة والخاصة بالمغرب وقد اعتمدت النسخة رقم ١٢٨٨ / د بالمكتبة العامة والنسخة رقم ٥٨٠٣ بالمكتبة الملكية . والنسخة رقم ٧٨ ج ونسخة رقم ٨٧٦ ج والخلاف بين النسخ لا يكاد يذكر ، وقد حقق الرحلة الاستاذ الحسن السائح ولكنه لم ينشرها بعد .

(٢) اللاقبي : مشروب كان بعض الليبيين يتناولونه للنشوة ، عصارة تقطر من جرح النخيل ، هذا والرحلة معروفة تحت عنوان : انس الساري والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب وسيد الاعاجم والاعارب ، وعلمت ان الاستاذ محمد الفاسي يعتني هذه الايام بنشرها . هذا وقد ترجم للسراج هذا صاحب الاعلام بتاريخ مراكش المجلد الرابع صفحة ٢٢٣ ـ ٢٧٤ ، ابن غلبون : التذكار نشر الزاوي طبعة ثانية ١٤٣ ـ ١٥٦ ـ ٢٤١ . محمد سليمان ايوب : مختصر تاريخ الفزان ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ محمد الفاسي : دعوة الحق ، دجنبر ١٩٥٨

FEZZANE OASI DI GOT :
Reab Societá Geograafica átaliana Parta qrime 1937 .

وروحـــه الطيبة النافذة بالاضافة الى ما حرره من رسائل خاصة لبعض اصدقائه عن تلك الاراضي [1] .

وهذا محمـد الدلائي الذي حج مع والده المرابط عام ١٠٧٩ هـ (١٦٦٨ ـ ١٦٦٩ م) يلذ له ان يتحفنا بداليته الفصيحة في تعداد المسالك الرئيسية التي على الحاج ان يمر بها وفي صدرها طرابلس التي « جمعت المتناقضات على حـد قول الشاعر الدلائي ، إذ كانت تحفة البحر ومتعة البر » [2] .

وهـــذا المشتوكي الذي زار ليبيا عام ١٠٩٦ هـ (١٦٨٤ ـ ١٦٨٥ م) يتحدث عن مليّته وزنزور ، ويتحدث اليه كثير من رواد العلم والمعرفـــة ويتبادل الشعر مع الذين استقبلوه في زاوية سيدي عبد السلام الاسمر .. ان المعلومات التي قدمها المشتوكي عن مسالك الحاج تعتبر من اقدم ما انتهى الينا... [3] .

---

(١) القصد الى رسالة العياشي للقاضي ابي العباس بن سعيد السكيلدي المحفوظة بالمكتبة العامة من مجموع تحت رقم ٥/٤٢ من صفحة ٣٠٢ ـ ٣١٦ وقد توفي ابو العباس مغرب يوم ٢٥ ـ صفر ـ ١٠٩٤ هذا ولا نكاد نخلو خزانة لعالم كبير من رحلة الامام العياشي وهنالك عـدد منها في المكتبة الملكية والخزانة العامة . وقد عثرت على نسختين جليلتين في ليبيا احداها في مكتبة الجغبوب والثانية بخزانة اوقاف طرابلس ، وقد طبعت الرحلة على الحجر بمدينة فاس ومع ذلك فان نفادها جعلها دوما في حكم المخطوط . السلوة ٣ ، ٢٠٦ محمد الفاسي : دعوة الحق يناير ١٩٥٩ .

(٢) انظر كتاب البدور الضاوية في التعريف بالسادات اهل الزاوية الدلائية (مخطوط بالخزانة العامة رقم ٢٦١ / د الفصل الثامن في ذكر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ محمد المرابط الدلائي ص ٤٤٨ ـ ٤٥٣ ـ ٤٥٧ وانظر كذلك ديوانه بنفس المكتبة رقم ٢٦٤٤ د من صفحة ١٥٩ الى ٦٣ ب .

يقول في مطلع القصيدة :

زم الهوادج وانشـد بالحادي ... فلقد حنت بها جميع فؤادي

الى ان يقول عن طرابلس :

نعم المدينة للحجيج وحضرة ... ذات النخيل غزيرة الامداد

من كل ما يحتاجه ذو حاجه ... جمعت وحقك جملة الاضداد

تحف البحور ومتعة البر التي ... خرجت بزهرتها عن المعتاد

(٣) المخطوط محفوظ بالخزانة العامة تحت رقم ١٩٠ / ق لكنه مبتور القسم الخاص بطرابلس هذا وقد اجتمع بالمشتوكي هذا في درعة علامة ليبيا الاستاذ عبدالله السوسي . .

وهذا الامام القادري الذي حج عام ١١٠٠ م (١٦٨٨ ـ ١٦٨٩ م) صحبة الشيخ ابن عبدالله تعطينا رحلته معلومات جدّ طريفة عن ليبيا، ويكشف النقاب عن حقائق تاريخية ظلت الى اليوم مجهولة وخاصة ايام ولاية شايب العين، وبالذات عن الاحتكاك الذي كان بين هذا وبين القبطان حسين كلايجي وصهريه مصطفى صرك وابراهيم صغجكلي [1] بل ان الرحلة لتصحيح بعض الرائجات في كتب التاريخ الليبي [2].

وهذا الامير الشاب المولى المعتصم نجل السلطان المولى اسماعيل مع الاميرة ست الملك يزور ليبيا في الطريق للحج عام ١١٠١ هـ (١٦٨٩ ـ ١٦٩٠ م) صحبـــة الامام الشهير الحسن اليوسي. ويسجل هذه الرحلة نجل الشيخ فيقدم لنا معلومات قيمة عن رباط طرابلس اواخر العهد العثماني الاول وعن اجنة منطقة « المنشية » والمدينة القديمة، وعن مختلف المراحل التي سلكها الركب واحدة واحدة الى السلطان [3].

= الناصر احمد، الرحلة ص ٦٨ ـ ٧٤ ـ اليوسي، المحاضرات طبعة فاس ص ٦١ ابن غلبون: التذكار ص ٢٢٣ المراكشي: الاعلام في تاريخ مراكش المجلد ٣ ص ١٤٤.

(١) الرحلة بعنوان: « نسمة الآس في حجة سيدنا ابي العباس » محفوظ بالخزانة الملكية تحت رقم ٨٧٨٧ توجد نسخة منها بالمكتبة العامة في المجموع رقم ١٤١٨ / ك. وقد توفي ابو العباس هذا في ١٩ جمادى الاولى سنة ١١٣٣. السلوة ٢ . ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ابن غلبون: التذكار ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩٠

(٢) نذكر على سبيل المثال بعض المعلومات التي اعطيت حول الشيخ ابن سعيد الهبري الذي وردت الاشارة اليه في شعر الاديب الطرابلسي احمد القائب:

(قد اختارها الزروق داراً وموطنا كـذا ابن سعيد مقتد بهداتها)

والذي تذكر المصادر الليبية انه توفي سنة ١٠٩٣ مع ان اللقاء حياً تم بينه وبين ابي العباس القادري ١١٠١ عشر سنوات بعد التاريخ المفروض لوفاته ابن غلبون: التذكار نشر الزاوي ص ٢٢٠ النائب الانصاري: نفحات النسرين والريحان ص ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢

(٣) المخطوط محفوظ بالمكتبة الملكية تحت رقم ٢٣٤٣. كما توجد نسـخة منه بالخزانة العامة في مجموع تحت رقم ١٤١٨ ك ولا بد مع هذا ان تراجع نسمة الآس في رحلة ابو العباس السالفة الذكر وتنظر الزياني في مخطوطه: الروضة السليمانية في ملوك الدولة الاسماعيلية ومن تقدمها من الدول الاسلامية ص ٦٥ (ب) محفوظ بالخزانة العامة رقم ١٢٧٥/دي ونشر المثاني حوادث عام ١١٠١. محفوظ تحت رقم ٢٢٥٤ المجلد ٢. الخزانة العامة. الكتاني السلوة ٣ ٨١ ، ٨٢. عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الاقصى المجلد ٢ ص ٣٤٤. النقيب ابن زيدان: المنزع اللطيف ص ٤٥٢.

وهذا ابو العباس الناصري الذي قام بآخر رحلاته عام ١١٢١ هـ (١٧٠٩ ـ ١٧١٠ م) يزود المكتبة المغربية بدقائق عن ليبيا سواء عند مداهمة الاسبان لمدينة طرابلس ايام ولاية الحاج عبد الله الازميرلي سنة ١٠٩٦ هـ (١٦٨٤ ـ ١٦٨٥ م) او ثورة البلاد على خليل باشا ويعرفنا على طائفة من احداث طرابلس ويقدم الينا عدداً من رجال العلم والفضل بمختلف اطراف البلاد ويكشف عن حقائق جدّ هامة (١) .

وهذه زيارة امير الامراء سيدي محمد بن السلطان المولى عبد الله بن الامبراطور المولى اسماعيل (محمد الثالث) لقد قام سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣١ ـ ١٧٣٢ م) صحبة جدته الفقيهة العالمة لالة خناثة زوجة المولى اسماعيل ، هذه الرحلة التي سجلها الوزير الشرقي الاسحاقي والتي رددت اصداءها المصادر المغربية والاوربية نظراً لما كان لها بعد من اثر على العلاقات الدولية (٢) .

---

(١) لقد رحل ابو العباس اربع مرات وتقع رحلته هـذه في مجلدين ، وهي مطبوعة بفاس سنة ١٣٢٠ ... اما نسخها المخطوطة فتوجد بمختلف الاشكال بالمكتبة الملكية ، والخزانة العامة ... هذا وقد كان استطراد الناصري بتسجيل مذكراته ١٠٩٦ فرصة لاعطائنا فكرة جد حية من شاهد عيان عن احداث هذه الايام ، ارجع للناصري ص ٦٠ـ٦٦ـ٦٧ ابن سودة : دليل تاريخ المغرب المجلد ٢ ٣٤٤ـ٣٤٥ . ابن غلبون : التذكار ١٨٦ ص ٢٠٤ .

(٢) الرحلة تقع في مجلدين ، يوجد الاول بالخزانة الكبرى لجامعين القرويين من اوقاف السلطان المولى عبدالله على المكتبة المذكورة سنة ١١٠٦ وهي تحمل رقم ٢٠٨ / ٨٠ وتوجد نسخة اخرى في مكتبة النقيب ابن زيدان تحت رقم ١٤٢٨ ، تصير الى المكتبة الملكية . ولا اعتقد نسخة النقيب الا منقولة عن نسخة القرويين .

ابن غلبون : التذكار ، نشر الزاوي طبعة ثانية ص ٢٦٢

ريتشارد توللي : عشر سنوات في بلاد طرابلس نقله الى العربية عمر الديراوي ابو حجلة ، مكتبة الفرجاني طرابلس ص ١٦٧ .

رود لفوميكاكي : طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي نقله الى العربية طه فوزي (مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية) ص ١٠٧

Ambassador Abdelhodi Tazi : Moroccan American Relations 26-1-67 p. 22

وهذا ابو مدين الدرعي الذي حج عام ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ ـ ١٧٤١ م) يترك لنا وصفاً حياً لمدينة طرابلس بما فيها حي الزرارية : الاســـم الذى يعطيه الحجاج لحي الظهرة ويتحدث عن الحالة الاجتماعيــــة للبلاد ويقـدم لنا بعض الشخصيات العلمية ثم يأتي على ذكر المراحل من الحدود الغربية الى الشرقيه [1] .

ومن الطريف اننا قد نتوفر في سنة واحدة على رحلتين اثنتين لمؤلفين اثنين . وهكذا نلمس اثر المنافسة في تسجيل الخواطر وصياغتها بالاسلوب الشيق الساحر .

وهذا الشيخ الحضيكي الذي زار ليبيا ايضاً عام ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ ـ ١٧٤١ م) فحكى عن حدودها الغربية وعن مدنها العتيقة بما فيها تاجوراء وطرابلس ومصراته واجدابية [2] وهذا المنالي الزيادي يزور ليبيا عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٦ ـ ١٧٤٧ م) فيستوعب الحديث عن منطقة الظهرة والزرارية بطرابلس ... ويقدم الينا فوائد هامة تتعلق بالمخطوطات التي عثر عليها اثناء مروره بليبيا عند العلماء الذي اجتمع بهم عندايابه سنة ١١٥٩ هـ (١٧٤٧) [3] وهذا الاستاذ التازي ينظم حوالى سنة ١١٦٢ هـ (١٧٤٩ ـ ١٧٥٠ م) مسالك ليبيا

= ابن عثمان : الاكسير في فكاك الاسير تحقيق وتعليق الاستاذ محمد الفاسي ، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي ص خ

(١) الرحلة توجد محفوظة بالخزانة العامة تحت رقم ٢٩٧ ، وانظر الى جانب هذا رحلة المنالي التي تمت عام ١١٥٨ وهي محفوظة بالخزانة العامة رقم ٣٩٨ / ك ، وتوجـــد نسخة في ملك الاستاذ المحقق السيد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى لجامعة القرويين من مدينة فاس .

(٢) ولد الشيخ الحضيكي سنة ١١١٨ وتوفي ١١٨٩ بالسوس الاقصى ، ورحل في طلب العلم وكاتب من لم يلقـــه في المشرق والغرب بحيث يستغرب ذلك من طالع مجاميعه وفهارسه وفهـــارس اصحابه . والمخطوط محفوظ في المكتبة الملكية تحت رقم ٤٠٥ . فهرس الفارس ص ٢٦٠ـ٢٦١ـ٢٦٢

(٣) توجد عدة نسخ من الرحلة المذكورة بالمغرب الاقصى ، ولكن من احسنها التي توجد في ملك العلامة الثبت السيد محمد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى لجامعة القرويين بفاس . هذا وقد حج معه الفقيه مولاي احمد الصقلي دفين حومة البليدة والقطب سيدي عبدالوهــاب التازي دفين القبب خارج بلاد الفتوح .

السلوة ٢ ، ١٣٤ ـ ١٨١ ـ ١٨٠ ـ ١٨٦ ... ابن هاشم الكتاني : زهرة الآس في بيوتات فاس محفوظ بالخزانة العامة رقم ١٢٨١ ك .

في همزية طريفة تبلغ ثلاثمائة وخمسة وثلاثين بيتاً يأتي فيها بمعلومات عن مواقع اصبحت الآن مهددة بالنسيان ، فيها غافق والزحيحيف والسروال [1] .

وهذا الشيخ ابن عبد السلام الناصري في رحلته الاولى عام ١١٩٦ هـ (١٧٨٢-١٧٨٣) يعطي صورة كاملة عن ليبيا بكتّابها وادبائها ، وعلمائها ومعالمها ، ويتحدث عن المخطوطات التي وقف عليها ، وقد كان المغربي الاول الذي قدم لنا قصيدة ابن عبد الله الدائم ، وكتاب التذكار لابن غلبون في حقيقتها [2] .

ثم هذا الناصري بنفسه يقوم برحلة ثانية عام ١٢١١ هـ (١٧٩٧ - ١٧٩٨ م) ويلذ له اذ يقارن ويفارق بين الحالة الداخلية في ليبيا ايام علي القرمانلّي وبين ايام ابنه يوسف ويتحدث عن الجفوة بين بني سيف النصر وبين امير طرابلس ... وبين رحلته الاولى حاجّاً عادياً وبين رحلته هذه وهو مكلف من قبل سلطان المغرب المولى سليمان بمرافقة الامير مولاي احمد نجل السلطان وعمه مولاي موسى شقيق المولى سليمان [3] .

---

(١) القصيدة توجد ضمن مجموع محفوظ بالخزانة العامة تحت رقم ٣٤٩٠ دي وقد نشرها الاستاذ البحاثة السيد محمد المنوني سنة ١٩٥٣ في كتابه «ركب الحاج المغربي» مطبعة المخزن تطوان ص٨٩-١٠٤ اما صاحب المنظومة فقد نعته ابو الربيع سليمان الحوات في كتاب السر الظاهر بالفقيه العلامة الاديب ابي عبدالله محمد بن الحاج التلمساني ثم التازي المتوفي بالمشرق في حدود السبعين ومائة الف ، كما حلاه الشيخ التاودي بالاستاذ الفقيه النحوي وذكر انه كانت له معرفة به لما بينهما من القراءة على الشيخ الوجاري وانه ارتحل بعد ذلك من فاس لتازه لتقلد منصب هناك . .

(٢) توجد نسخه محفوظة بالمكتبة بالمكية بخط المؤلف تحت رقم ٥٦٠٨ كما توجد نسخة مصورة بالخزانة العامة تحت رقم ٢٦٥١ وكلاهما ذو خط مغربي جميل ، وقد لخص الرحلة هذه العباس بن ابراهيم في كتابه الاعلام المجلد الخامس ص ١٨٩ . النائب الانصاري : المنهل العذب : الاول ٣٢٩ ترجمة مصطفى الخوجة . الزاوي : اعلام ليبيا ص٣٤٣ محمد الفاسي : الرحالة المغاربة وآثارهم ، دعوة الحق ، يناير ١٩٥٩

(٣) توجد عدة نسخ لهذه الرحلة ، وقد اعتمدت محفوظة في ملك الاستاذ البحاثة السيد عبدالسلام بن سودة استنسخها من نسخة بخط المؤلف بخزانة الاستاذ الصديق الفاسي . انظر صفحة ٤٦ حيث يقول الناصري: وصلني وانا بتازة كتاب الامير نصره الله يعين لي كيفية توزيع الصدقات وهناك نسخة محفوظة بالخزانة الملكية رقم ١٢١ .

وكما حصل عام ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ ـ ١٧٤١) عند ما كسبنا رحلتين اثنتين ، فكذلك زار ليبيا ايضاً سنة ١٢١١ (١٧٩٧ ـ ١٧٩٨ م) الشيخ الفاسي الذي كان ضمن اعضاء الركب فأتى بالطريق عن البلاد مما يعتبر فريداً في بابه ، وقد قدم وصفاً ناطقاً عن احداث علي بن برغل الذي استغل خلاف علي مع ولده يوسف فاستولى على طرابلس ... كما تحدث عن المصاهرة التي كانت بين آل سيف النصر والعاهل المغربي ، واذا كان الناصري سنة ١١٢١ هـ (١٧٠٩ ـ ١٧١٠ م) والدرعي سنة ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ ـ ١٧٤١ م) قد ضلّ عنهما اسم البازين بعد أن تناولاه في ساحل حامد فان هذا الفاسي لم يفته ان يصف لنا منظر ازيد من اربعين قصعة من البازين مرتبة احداها الى جانب الاخرى [1] .

وهذا الغيغائي الذي حجّ عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ ـ ١٨٥٩ م) لم يفته ان يسجل ـ ولو أن سفره كان بحراً ـ تردد الليبيين على جزيرة مالطة وخاصة منهم سكان طرابلس [2] وهـذا الاستاذ السبعي الذي رحل عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٣ ـ ١٨٩٤ م) يعطينا معلومات

(١) اعتمدت على نسخة بخط المؤلف في ملك الاستاذ الثبت السيد محمد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى لجامعة القرويين ... هذا ويعتبر البازين اكلة رومانية تحتاج الى اتقان ومهارة وقد نقل ليون الافريقي ـ الحسن بن محمد الوزان ـ ان البازين كان الغذاء الاساسي لطرابلس ، وفي معجم دوزي ان كلمة البازين اصلها زبزين ... ولا يوجد احد ممن طال مقامه في ليبيا لا يعرف عن هذه الاكلة المحببة التي لا بد لتذوق ملاذها ان يعرف المرء طريق تناولها حتى يتخلل المرق ذرات سميذه ...

وقد قال فيه الشيخ ابراهيم باكير :

خـير الموائد عنـدنا البازين ... واللحم حوله ناضج وسمـين

فاقطع بكفيك قطعـة من اصله ... ثم ادلـكنها جيـداً فتلين

حتى اذا ما اشـبعت مرقاً فـكل ... بالخمس من يمنـاك فهي تعين

الناصر احمد : رحلة ص ٨١ دوزي ـ المجلد ١ ص ٨٢ ، ٧٩ ، ٥ ـ ابن غلبون ـ مقدمة الزاوي ص (ز)

علي المصراتي : لمحات ادبية عن ليبيا ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) هي رحلة رائعة توجد في الخزانة العـامة مصورة على شريط رقم ١٢ . وقد تضمنت معلومات كانت بالنسبة لزمن المؤلف احداثاً هامة . ولـكي يعطي الرحالة الاداب صورة ناطقة للقراء عن مشاهداته عمد الى تصوير الاعمدة الهرتزية . والقطار الحديدي كما رآها ببعض الشرقية .

جدّ مفيدة عن الحركة العلمية في زاوية الجغبوب وعن بعض مؤلفات الامام السنوسي ثم عن الدور الذي كان يضطلع به القائدان العظيمان السيدان : المهدي ومحمد بعد وفاة والدهما الامام الاكبر سيدي محمد بن علي السنوسي [1] .

ولم يقتصر المغاربة على تسجيل انطباعاتهم عن ليبيا بالنثر والشعر الفصيحين ولكنهم عدوا ذلك الى التعبير عن مشاعرهم للشعر الذي يعرف باسم « الملحون » في المغرب الاقصى وقد نظر الحاج ادريس بن علي الحنش . والحاج محمد بن علي السفيوي قصائد بالملحون ضمناها بعض مسالك ليبيا الى البقاع المقدسة [2]

عبد الهادي التازي

---

(١) الرحلة مخطوطة محفوظة بالمكتبة العامة تحت رقم ٢٩٠٨ / ك وقد استطرد مؤلفها الفقيه الجليل احمد بن محمد السبعي بحديث طريف عن الزاوية السنوسية بالينبع التي تبعت اولى زواياه باولاد نايل بالقطر الجزائري بين عين ماضي وعبد المجيد وتبعت كذلك زاوية قبيس ، وكان مما انشده تعليقا على كتاب البدور السافرة عندما قدمه اليه الفقيه سيدي محمد بن علي القهاري قال :

جزى الله خيراً من حبانا بمام ذا   ولقاه ما يرجو بجنة خالده
سليل سنوسي المجد يارب رونا   بما له من بحر حلا وبجده

(٢) من ذلك قول الحنش :

من قابس توصل طرابلس المنيره   ادخل بلاد مسراته وانت ساري
زور البرنوسي تهسون كل عسيره   شيخ الشيوخ سيدي زروق القاري
من قالوا ناس لوفا ، غليه رويثا   تا آلفوا مشاو تجول البلدان
مثل التفسير الكبير بالبيثا   نصيحة ، شرح الحكم الثاني

* * *

من مسراتا يا حمام لاتزهزا   اجعل راحتك توصيك في بنغازي
من بنغازي زد لا تشاهد عزا   وانزل بجبل الاخضر على مزاي (كذا)
واقطع المروال في حماذا العزا   اللي يوصلك لمنازل الحجازي
بعد كابس في مساير تشوف بفلاس   من سواحل جربه حتى طرابلس
بات واقصد طرق ولا ترافق كفول   تصب بن غازي طرف اليم على الفلا
كن في برقة حاضي التصيدوك دهول   في مهامه درنة ما لتقي دهلا

(٢) من مجموع في ملك الاستاذ البحاثة السيد محمد بن عبدالهادي المنوني .